مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 08/ العـدد: 01 (2022)، ص 1320- 1340

المعتقدات الشعبية والدوافع النفسية لدى زوار الضريح في ضوء متغير الطبقات الاجتماعية(دراسة ميدانية في ضريح سيدي بوعبد الله)

Popular beliefs and psychological motives of shrine visitors in light of the variable Social classes (field study in the shrine of Sidi Bou Abd Allah)

عبد القادر سيدي عابد [1*]

[1] جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)، a.sidiabed@univ-chlef.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/09 تاريخ القبول: 2022/02/23 تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية لدى زوار الضريح في ضوء متغير الطبقات الاجتماعية بضريح سيدي بوعبد الله بدائرة وادي رهيو(ولاية غليزان). و قد خلُصت الدراسة إلى النتائج التالية:

-هناك علاقة بين المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية و بين زيارة الأضرحة .

-لاتوجد فروق في المعتقدات الشعبية لدى زوار الضريح تبعا لمتغير الطبقات الاجتماعية .

-توجد فروق في الدوافع النفسية لدى زوار الضريح تبعا لمتغير الطبقات الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: معتقدات شعبية، دوافع نفسية، ضريح، زيارة، طبقات اجتماعية.

Abstract:

The present study aimed to reveal the Popular beliefs and psychological motives of the shrine visitors in light of the variable of Social classes at the Sidi Bou Abd Allah shrine (It is located in the state of Relizane).And the study concluded the following results:

- There is a relationship between popular beliefs and psychological motives, and between shrine visits. -There are no differences in the popular beliefs of the shrine visitors, depending on the variable of the Social classes. -There are differences in the Psychological motives of the shrine visitors, depending on the variable of the Social classes.

***Keywords**: popular beliefs; psychological motives; shrine; visit; Social classes.*

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تعتبر ظاهرة زيارة أضرحة الأولياء إحدى الممارسات الدينية المنتشرة بصورة ملفتة للإنتباه في القطر الجزائري، حيث نجد على ترابه أماكن مميزة تعتبر بحق مسرحا لمختلف النشاطات و الأشكال الطقوسية، و موضع زيارات و تظاهرات خاصة أقل ما يقال عنها أنها تمتاز بطابع القداسة .

وتشكل زيارة أضرحة الأولياء و التبرك بهم جزءا من الممارسة الشعبية، و هذه بدورها تمثل جزءا من نظام الدين في ثقافة المجتمع الجزائري. و أهم مايميز هذه الظاهرة أنها تجذرت في السلوك الإجتماعي، و بقيت حية في المعتقدات الشعبية. و أصبح أداء الممارسات الطقوسية المتعلقة بزيارة الأضرحة و التبرك بها ملتبسا بكل السلوك الإجتماعي و أنساقه الثقافية .

إن موضوع أضرحة الأولياء، بكل ما يحيط به من أفكار و طقوس و ممارسات على نحو مايجري في المجتمع في إطار الإدراك الشعبي لهذا الموضوع، يدخل في إطار المعتقدات الشعبية. و هذه المعتقدات الشعبية موجودة لدى جميع المجتمعات الإنسانية على اختلاف مستوياتها من التقدم. فهي موجودة لدى المجتمعات البدائية، و موجودة لدى أكثر المجتمعات تقدما و تحضرا. غير أن الأمر يختلف بين هذه المجتمعات بعضها عن البعض من حيث درجة وجود هذه المعتقدات الشعبية، و غلبتها أو سيطرتها فيما يتعلق بتحديد نظرة الإنسان للعالم و إدراكه لحقائق الكون.

2.الإطار النظري للدراسة

1.2الضريح

1.1.2.ظاهرة زيارة الأضرحة

استعملت" الزيارة" لقبور الأولياء و أضرحتهم، فأصبحت تعرف تلك الأماكن بالمزارات. وجاء في لسان العرب : "المزار موضع الزيارة"(ابن منظور، 1994، ص424). و الزيارة هي

المناسبة الأساسية التي يبدي فيها الإنسان الشعبي تكريمه للولي، و يقدم فيها النذر و يدعوا للولي و يسأله المعونة في مواجهة مشكلة معينة... إلخ. و لذلك فإن تقديس الأولياء لا يمكن تصوره منفصلا عن "المزار" أي "الضريح" أو "الشاهد" الذي يوجد الولي تحته، أو يعتقد أنه موجود تحته .

2.1.2.أضرحة الأولياء

يمكن القول بصفة عامة، بأن تكريم الأولياء مرتبط على الدوام بالضريح الذي يدفن فيه الولي، أو يعتقد أنه مدفون فيه. و من الطبيعي أن يتفاوت الضريح من حيث شكله الخارجي، زينته، فخامته، و مواد بنائه ...إلخ ، تبعا لمدى انتشار تكريم الولي (أهميته الشعبية ، بصرف النظر عن أهميته الحقيقية)، و إمكانيات أهل المنطقة و زوار الولي و غير ذلك. و قد أشارت أغلب الدراسات عن الأولياء في المنطقة العربية، إلى أن وجود قبر لولي بلا ضريح يُعد أمرا شديد الندرة(الجوهري، 1990، ص6).

3.1.2.موقع الضريح

تحتل الأضرحة مواقع متفاوتة في طبيعتها أشد التفاوت. ففي بعض الأحيان يقع الضريح داخل القرية، أو على مدخلها، أو بالقرب منها، و في أحيان أخرى يقع الضريح على بعض المواقع المرتفعة، كأحد التلال القريبة، فوق أحد الجبال القريبة، و النادر على أي حال أن نصادف ضريحا في بطون الأودية .

4.1.2.الممارسات الشعبية المتصلة بأضرحة الأولياء

أ-النذور و الأضاحي

حسب علي زيعور " فالنذر هو عقد، إذا جازت اللفظة، أو وعد بين العابد و المعبود، يقدم الأول قربانا للثاني لاستبعاد سوء، أو لكسب عطف أو استرضاء. و تسمى الذبيحة "قُربانا"، أو "وليمة الله"(زيعور، 1979، ص146). و لا يتم الذبح عند مقام أحد الأولياء، و إنما في أي مكان آخر أمام البيت، و يوزع لحم الذبيحة كله على الفقراء، و يتم ذلك أحيانا في حالات المرض الشديد التماسا للشفاء أو في غير ذلك من المناسبات.

ب-الموالد

تعتبر الموالد من أهم المناسبات التي يحظى فيها الأولياء بالتكريم. و تشهد الأضرحة خلال مناسبات الموالد ألوانا عديدة و متنوعة من الممارسات. فقد كشفت الدراسة الميدانية أن موالد الأولياء لم تعد ترتبط بالضرورة بالمواسم الزراعية أو جني المحصول في أغلب الأحوال، بقدر ما ترتبط ببعض المناسبات الدينية كالمولد النبوي و غيره، و أن المدة التي تستغرقها امتدت لتصبح أسبوعا بدلا من ثلاثة أيام، و ثلاثة أيام بدلا من ليلة واحدة ، و ذلك تبعا لأهمية الولي و شهرته بين أولياء المدينة(الخولي، 1982، ص352)

5.1.2.لون الضريح و دلالاته

تكاد تكون أغلب الأضرحة في الجزائر ، إن لم نقل كلها تحمل نفس الخصائص البنائية البسيطة ، زيادة على الإحتفاظ بنفس اللون ، و المتمثل في الأبيض و الأخضر .

حيث يتعلق أهل التصوف كثيرا باللون الأخضر و ذلك لإرتباطه بالولي أو النبي "الخِضْر"، و لدلالته على الخصوبة و الخلود و هو رمز للعطاء وللأمومة. أما اللون الأبيض فيرمز إلى الصفاء و الطهارة، ويدل كذلك على الفضيلة و التقوى و الرجولة.

و عليه غدا البياض و الخضرة في الوقت نفسه عند عامة المسلمين رمزا لكل خير خلافا للون الأسود الذي يدل عندهم على الشر و الشيطنة.

2.2.المعتقدات الشعبية

المعتقد الشعبي هو ظاهرة اجتماعية تنتج عن تفاعل الأفراد في علاقاتهم الاجتماعية و تصوراتهم حول الحياة و الوجود و قوى الطبيعة المخيفة و المسيطرة أو المتحكمة في تسيير الحياة الكونية. و لأسباب عديدة أهمها ذلك التراكم الاجتماعي للعادات و التقاليد و الأفكار يصبح المعتقد ذا قوة آمرة قاهرة، فهو يأمر في حالة الايجاب، و يقهر في حالة السلب، و بسبب ذلك أيضا نرى المعتقد يأخذ طابعا قدسيا روحيا و حتى دينيا، ذلك باعتباره نتاجا حياتيا للأجيال السابقة بما حملته من أفكار و بما مارسته من صراع مع قوى الطبيعة و غيرها من القوى، و بما حُقنتْ به نفوسهم من تعاليم و أخلاقيات أملاها حكامهم أو رسلهم و زعماؤهم الروحانيون(السهلي ، 1985، ص6).

1.2.2.ظاهرة الاعتقاد بضريح الولي

تلعب الحكايات المتصلة بكرامات الأولياء، والتي تتناقلها الأجيال في مجتمعنا الجزائري جيلا بعد جيل، دورا بارزا في الحفاظ على التراث الديني الشعبي و ضمان استمرارية الإعتقاد في الأولياء وتكريمهم، كما أن هذه الحكايات تأتي مُعبرة عن الوجدان الشعبي، من حيث مضامينها يتصل بأمور تتعلق بالناس في معاشهم و أرزاقهم و حياتهم الإجتماعية. وحسب نبيلة ابراهيم سالم" فإن هذا النمط من القصص يؤلف بقصد تأكيد اعتقاد شعبي في القدرة المُعجزة لبعض الشخوص الواقعية التي رفعها الشعب إلى مصاف الولاية، و من ثم فهو يجسد وجود هذه الشخوص في شكل ضريح حتى يكون وجوده ماثلا أمامه على الدوام. و متى وُجد الضريح نشأت الممارسات الطقوسية المرتبطة بهذا المعتقد(سالم، 1976، ص31-32).

2.2.2.الاعتقاد في الأشياء المقدسة التي ترتبط بضريح الولي

أ- الأشجار المقدسة

ب- العيون و الآبار المقدسة

ج- الأحجار المقدسة

3.2.2.الإعتقاد بالضريح مصدرا للكرامة

إن العامل الرئيسي الذي يدعوا الناس لزيارة الضريح يكمن في اعتقادهم الراسخ بأنه مصدر أساسي تفيض منه الكرامات و البركات، و يتوسلون لذلك بملامسة الضريح أو تقبيله أو القيام ببعض الطقوس، كالطواف به لإقتباس شحنة كرامتية.

إن المعتقدات المتجذرة(في وعي و لا وعي الجماعة)، هي التي منحتها صفة الديمومة و البقاء، و أنقذتها من النسيان و الإختفاء و الزوال"(Moussaoui,1996, p129)

3.2.الدوافع النفسية المؤدية إلى زيارة الأولياء

1.3.2.الحاجة إلى الوسيط أو الشفيع

في الدراسة التي قام بها نور الدين طوالبي حول الموضوع في قرية "كارزاز" في جنوب الجزائر، وكذلك في قرية أخرى هي قرية "بني حمدون" وجد أن سكان هاتين القريتين يحركهم دافع إخلاصهم للأولياء من خلال التماس الوسيط، فأغلبية المستجوبين أكدوا على أن زيارتهم للولي لا يمكن التخلي عنها، وأن الولي في نظرهم هو الممثل الشرعي لله . (طوالبي، مرجع سابق، ص137-138).

2.3.2.الشفاء من الأمراض

إن الإعتقاد السائد لدى الأوساط الشعبية المغاربية قديما وحديثا، يكمن في الإيمان بالسلطة اللامحدودة للأولياء المدفونين في بلدانها، وقدرتهم الخارقة على شفاء المرضى. ويشترط الزائر بتقديم نذوره على الولي شروطا كما يلي: "إذا عملت لي كذا وكذا ياولي الله فسأعمل لك كذا وكذا .."، وما هذا إلا تعبير عن الشعور بالشكر العميق و الإعتراف بالخدمة التي سيسدلها الولي للمريض وعائلته، وهو ما عبر عنه "جيرارد فان دو لوا Gérard van der leeuw " je donne pour que tu donnes" . (Aouittah, 1993, p153)

3.3.2.تحقيق الآمال و الرغبات

عادة ما تلجأ الأوساط الشعبية إلى الأولياء لتحقيق الآمال و الطلبات أو تخفيف الآلام و المظالم. فحالات القهر والظلم التي يتعرض لها الفقراء ولايجدون في مؤسساته و جماعته وأفراده من يرفع عنهم ذلك هي التي تدفعهم للجوء إلى مثل هذه الحلول.

4.3.2.البحث عن الهدوء و الإطمئنان

أمام تعقد مشاكل الحياة الإجتماعية فإن الأوساط الشعبية اتخذت أضرحة الأولياء كفضاء للترويح عن النفس وبحثا عن حلول لمشاكلهم المستعصية. وحسب القماطي "فإن اللجوء إلى الأولياء لتحقيق الأماني والطلبات ماهي إلا وظيفة تفريغية تمارسها هذه الطبقات أمام واقع يتسم بالتعقيد." (القماطي،1994، ص78)

5.3.2.الولع باللامعقول و الخارق

لعله من الدوافع الأساسية التي تحدوا بالناس إلى زيارة الضريح هو اعتقادهم الراسخ بالقوة الخفية التي تستتر وراء الضريح، و تؤدي إلى خرق نظام الكون القائم على مبدأ السببية. فيكفي أن تجالس مروجي القصص الخاصة بالأولياء و مرتادي الضريح و خاصة العنصر النسوي لتعلم ذروة ولعهم بالأحداث والقصص الخارقة التي لا يمكن فهمها أو تعليلها، أما القصص العادية التي لا تحرك فيهم ساكنا و لاتثير مخيالهم فتمر مرور الكرام .

4.2.الطبقات الإجتماعية الزائرة لضريح الولي

1.4.2.تعريف الطبقة الإجتماعية:

على الرغم من أن مفهوم الطبقة سيظل مفهوما شكليا، ولايمكن معرفة حدوده، إلا أنه يرتبط بمصطلح الفئة، وفي العلوم الإجتماعية أصبح أكثر ارتباطا بمصطلح التدرج، فهو بذلك يشير إلى "كافة الأفراد أو الجماعات التي تتحقق لديهم في مجتمع معين خصائص متماثلة كالقوة والدخل و الثروة أو الهيبة، وقد يشير مصطلح الطبقة إلى من يشغلون وضعا معينا إقتصاديا يتعلق بالثروة أو الدخل أو الإستخدام" (مداس،2003، ص158)

و تنقسم الطبقات إلى ثلاثة فئات :

-الطبقة الدنيا

-الطبقة المتوسطة

-الطبقة العليا

2.4.2.الطبقة الدنيا و علاقتها بزيارة الأولياء:

هذه الطبقة متمسكة كثيرا بالثقافة التقليدية، و تنزع كثيرا نحو الممارسات الطقوسية للتقرب من المقدس الذي تدافع عنه باستعمال كل الأساليب الضرورية في مواجهة المدنية الحديثة أو الثقافة الحديثة التي تعتمد على مفاهيم العقلانية(طوالبي،مرجع سابق، ص169). إن هذه الطبقة ترفض التغيير لأنه يهدد هويتها المشتركة و بالتالي تتصدى له بالإنخراط في الطقوس السحرية التي ترمز إلى المرجعية التقليدية لديه.

3.4.2.الطبقة المتوسطة و علاقتها بزيارة الأولياء:

على العموم، إن دافع هذه الطبقة نحو الطقوس و زيارة الأولياء يمتاز بالغموض حيث تقترب إستجابة هذه الطبقة من استجابة الطبقة العليا، فهم متذبذبون كأمثالهم من الطبقة العليا، بين اتجاهين متعارضين. فتارة يأخذ الطقس عند هذه الطبقة بُعد ديني، و تارة أخرى ينتقدونه. و بالتالي فزيارة الأولياء عند هذه الطبقة تعتبر دافعا يخفف من حدة التناقض الوجداني الذي تعانيه.

4.4.2.الطبقة العليا و علاقتها بزيارة الأولياء:

تختلف الطبقة العليا عن الطبقة المتوسطة من حيث الثروة و الإنتماء العائلي (النسب). و استجابة هذه الطبقة نحو المقدس يكون على مستويين، فعلى المستوى الشعوري نجد أنها تنظر إلى المقدس والطقوس نظرة كُره تحول دون التقدم و التطور و الإنفتاح، و أما على المستوى اللاشعوري نرى أن هذه الطبقة لا تستطيع الإنفتاح كلية على المعاصرة بسبب الإحساس بالذنب من ضياع الذات و فقدان الهوية و الأصالة.

3.الإشكالية و المنهجية

1.3.مشكلة الدراسة و تساؤلاتها :

تحكي فكرة "الولي" أن هناك إنسانا ما رجلا أو امرأة امتلك بفعل تقواه قدرات خارقة و كرامات متعددة، تتناقلها الأجيال، و تتضخم صفاتها في الوجدان الشعبي، و تصبح للولي عادة قيمة كبرى بعد وفاته، و يتحول قبره إلى ضريح يؤمه الزائرين، يتبركون بالمكان، وينتظرون منه تحقيق المعجزة في تلبية دعواتهم، و يتحول المكان أي قبر الولي إلى موقع له قيمة و قدسية ، و يصبح مركزا لجذب اجتماعي و ثقافي و فكري.

وعليه، فإن الدراسة الحالية تسعى إلى الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: هل هناك علاقة بين المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية و بين زيارة الأضرحة ؟

1.1.3.تساؤلات الدراسة: تسعى الدراسة إلى الإجابة عن التساؤلات التالية:

-هل توجد فروق في المعتقدات الشعبية لدى زوار الضريح تبعا لمتغير الطبقات الإجتماعية .

-هل توجد فروق في الدوافع النفسية لدى زوار الضريح تبعا لمتغير الطبقات الإجتماعية.

2.1.3.أهمية الدراسة : تكمن أهمية البحث فيما يلي:

-محاولة فهم الظاهرة الأوليائية و ملابساتها من خلال منظور البحث العلمي.

-إن الموضوع يعتبر من مواضيع الساعة التي يجب التطرق إليه، خصوصا و أننا نشهد رجوعا كثيفا لهذا النوع من الممارسات.

-مساهمة البحث في معرفة مدى تأثير متغير الطبقات الإجتماعية على المعتقدات الشعبية والدوافع النفسية لدى زوار الضريح.

3.1.3.أهداف الدراسة: يهدف البحث الحالي إلى:

-الكشف عن طبيعة العلاقة بين المعتقدات الشعبية وزيارة الأضرحة.

-الكشف عن طبيعة العلاقة بين الدوافع النفسية وزيارة الأضرحة.

-معرفة الفروق بين الطبقات الاجتماعية في المعتقدات الشعبية لدى زوار الضريح.

-معرفة الفروق بين الطبقات الاجتماعية في الدوافع النفسية لدى زوار الضريح.

4.1.3.مفاهيم الدراسة:

-المعتقدات الشعبية: هي الأفكار التي تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه وبين عالم الإنسان. وغالبا ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل.

-الدوافع النفسية: هي حالة داخلية تثير السلوك وتسهم في توجيهه من أجل اشباع حاجة وتحقيق التوازن النفسي عند زيارة الضريح .

-الضّريح: البناء المشيد على القبر (أي فوقه). وتعلو الضريح في الغالب القبة التي تكبر أحياناً وتتسع فتشمل الضريح .

-الزيارة: هي توجه الزائر و قصده لضريح الولي إكراماً له واستئناساً به، و يقدم فيها النذر، و يدعوا للولي و يسأله المعونة في مواجهة مشكلة معينة.

-الطبقات الاجتماعية: هي فئات من المجتمع تختلف مكانتهم الاجتماعية من خلال الدخل و الثروة. وعادة ما يؤخذ الوضع المهني كمرشد للطبقة التي ينتمي إليها الفرد.

2.3.الدراسات السابقة

-**دراسة باحمد و بن عاشور (2018)** : تناولت هذه الدراسة تحليل ظاهرة زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين في الجزائر سوسيولوجيا. حيث توصلت إلى أن العديد من الأفراد يزورون هذه الأماكن الدينية للتبرك بها أملا أن يكون خيرا ينالونه من هذه الأماكن أو القائمون عليها. (باحمد ،2018).

-**دراسة سراج (2015)**:كشفت الدراسة عن ظاهرة زيارة الأضرحة و أثرها في المعتقدات الشعبية. و استخلص الباحث أنه كلما كان الاعتقاد في شخصية الولي كلما كان توافد الزائرين إلى ضريحه أكثر. كما وجد أن ظاهرة زيارة الأضرحة تتخذ دوافع مختلفة. كما أن هناك أسباب اجتماعية و نفسية تفسر سبب زيارة ضريح سيدي يوسف. كما وجد الباحث أن زوار ضريح سيدي يوسف من طبقات اجتماعية متباينة و مختلفة، و يمكن إرجاع سبب الزيارة إلى الظروف الاجتماعية و الحاجات السيكولوجية و النفسية لهذه الفئات الاجتماعية، كلٌ حسب حاجته وغايته (سراج، 2015) .

-**دراسة فراح (2011)**قامت الباحثة بدراسة ممارسة المرأة لزيارة الأضرحة و التبرك بهم، حيث توصلت إلى أن الاعتقاد في الولي وقوته يترك أثر كبير لدى النساء الزائرات للضريح. و اعتقاد النساء الزائرات و الماكثات بقبة الضريح في بركة الولي و في كاريزميته. للمرأة الزائرة و الماكثة بقبة الضريح نزعة نفسية لاواعية مشبعة بالخرافة يعني بكل ماهو خارق و لامعقول تمتد إلى عمق طبعها لأنها تصنع لآمالها و طموحاتها سبيلا إلى تحقيق ما يفوق قدرتها البشرية و الطبيعيةو الاجتماعية. الاعتقاد في علاقة كرامة الولي الصالح وحاجات المرأة. (فرح، 2011)

-دراسةبوخضرة (2012): قام الباحث بدراسته المتجسدة في شخصية الولي الصالح في الذاكرة الشعبية بمعنى الرجل المقدس في المخيال الشعبي. وتكمن مشكلة الدراسة في تحديد أوجه التغيير في الثقافة الشعبية المرتبطة بالاعتقاد في الأولياء الصالحين، وكيف تبقى هذه الظاهرة في الذاكرة الشعبية، و تستمر حتى بعد وفاة الولي الصالح، يحاول الباحث من خلالها إيجاد العلاقة بين العقيدة كدين والمعتقدات العامة كثقافة و بين كرامات الأولياء و تقديس الولي .

و أسفرت هذه الدراسة على أن الولي يلعب دورا هاما في النظام العقائدي لكثير من الناس . كما تلعب الحكايات الشعبية أثر كبير في ترسيخ فكرة تقديس الأولياء من خلال سرد كراماتهم و أعمالهم الخارقة و قدراتهم. (بن معمر ، 2012)

1.2.3.التعليق على الدراسات السابقة:

تناولت الدراسات السابقة ظاهرة تقديس أضرحة الأولياء والصالحين، و كيف أضحت مزارات يومية وموسمية تجري في نطاقها الممارسات والطقوس المختلفة، للتبرك بها أملا أن يكون خيرا ينالونه من هذه الأماكن أو القائمون عليها. و كيف أصبح الضريح يستمدّ قداسته من الولي الصالح المدفون بداخله، بمعنى الرجل المقدس في المخيال الشعبي. و بينت هذه الدراسات أيضا كيف أن الولي يلعب دورا هاما في النظام العقائدي لكثير من الناس من خلال الحكايات الشعبية التي تسرد كراماتهم و أعمالهم الخارقة و قدراتهم.

من هنا فإن أهمية الدراسة الحالية تنبثق من أهمية موضوعها، كونها تحاول التعرف على دور المعتقدات الشعبية والدوافع النفسية في توافد الزائرين على ضريح الولي، كما تحاول معرفة الفروق بين الطبقات الاجتماعية في زيارة الضريح.

3.3.الطريقة و الأدوات:

1.3.3.منهج الدراسة: لقد تم إتباع المنهج الوصفي التحليلي لتحليل معطيات الدراسة إحصائيا، باعتبار انه المنهج الملائم لطبيعة هذه الدراسة.

2.3.3.عينة الدراسة: تكونت عينة الدراسة الراهنة من (115) فرد من زوار الضريح، و هي موزعة تبعا لمتغيرات الدراسة كما هو مبين في الجدول (1) :

جدول رقم (01) يوضح خصائص العينة الأساسية

المتغيرات	المستويات	العدد	النسبة المئوية
المستوى الاجتماعي	ضعيف	35	%30.4
	متوسط	48	%41.7
	جيد	32	%27.8
المجموع		**115**	**%100**

3.3.3..أداه الدراسة:

في هذه الخطوة بالذات لم نعثر على مقياس كامل يقيس بالخصوص المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية لدى زوار الضريح وعليه:

-تم صياغة بعض العبارات بطريقة ذاتية، انطلاقا من أفكار نظرية، وزيارات ميدانية لعينة الدراسة، حيث راع الباحث عند صياغة الفقرات أن تكون:

-شاملة للأهداف المراد قياسها.

-واضحة وبعيدة عن الغموض واللبس.

-سليمة لغوياً وسهلة وملائمة لمستوى العينة.

-و قد بلغ عدد البنود في الصورة المبدئية للمقياس(60) بندا، يجيب عليها المفحوص من خلال خمسة بدائل هي: أوافق بشدة (خمسة درجات)، أوافق أحيانا (أربعة درجات)، غير متأكد (ثلاثة درجات)، أوافق نادرا (درجتان)، غير موافق (درجة واحدة).

-تمّ عرض المقياس على مجموعة من المحكمين بلغ عددهم (5) من أساتذة الجامعة في علم النفس، طُلِب منهم الحكم على مدى صلاحية و مناسبة بنود هذا المقياس لموضوعه.

-بعد تحليل إجابات المُحكمين تمّ تعديل بعض البنود تبعا لملاحظاتهم، بينما تمّ استبعاد (12) منها لعدم إجماع المحكمين عليها بالمستوى المطلوب، حيث وضع الباحث معيارا كحد أدنى يمكن قبول البنود على أساسه وهو(70%)، و بذلك تكَوّن المقياس بصورته النهائية من (48) بندا.

4.3.3.صدق وثبات مقياس أدوات الدراسة:

أ-صدق الاتساق الداخلي لاستمارة المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية لدى زوار الضريح : ولقد تم اعتماد (معامل بيرسون) لتوضيح هذا الاتساق، كما تم استخدام طريقتي ألفا كرومباخ والتجزئة النصفية للتأكد من الثبات، حيث أسفرت النتائج على :

جدول رقم (02) يوضح صدق الاتساق الداخلي وثبات الاستبيان

أداة الدراسة	صدق الاتساق الداخلي	طرق حساب الثبات	
المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية لدى زوار الضريح	تراوح ما بين (0.48 و0.33) عند مستوى الدلالة 0.01 و0.05، ولقد تم حذف 18 فقرة غير دالة إحصائيا.	**ألفا كرومباخ**	0.71
		التجزئة النصفية	0.72
النتيجة النهائية: وعليه احتوى الاستبيان على مجموع(30) فقرة دالة			

وبعد حساب كل من الصدق والثبات، يتضح من خلال معاملات الصدق والثبات بأنها جاءت بدرجة معقولة ومقبولة إحصائيا، وعليه يمكن الاطمئنان على صحة استخدام الاستبانه في الدراسة الحالية.

5.3.3.الأساليب الإحصائية في معالجة البيانات: لقد تم استخدام كلا من الإحصاء الوصفي والاستدلالي على حد سواء، فبالنسبة للإحصاء الوصفي استعملنا المتوسطات والانحراف المعياري. أما بالنسبة للإحصاء الاستدلالي ولتأكد من صحة الفرضيات استخدمنا معامل ارتباط بيرسون، وتحليل التباين الأحادي (one way anova) لدراسة الفروق تبعا للطبقات الاجتماعية، وذلك باستخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية الإصدار (22; spss).

4. تحليل النتائج:

1.4.تحليل و تفسير نتائج التساؤل الأول: والذي ينص: هناك علاقة بين المعتقدات الشعبية والدوافع النفسية و بين زيارة الأضرحة. ولاختبار صحة هذا التساؤل استخدمنا المتوسطات والانحراف المعياري، إضافة إلى معامل الارتباط بيرسون، حيث أسفرت النتائج كما هو موضح في الجدول أسفله على مايلي:

جدول رقم(03)يوضح العلاقة بين المعتقدات الشعبية والدوافع النفسية وبين زيارة الأضرحة

المتغيرات	زيارة الأضرحة			
	معامل الارتباط	معامل التحديد	مستوى الدلالة	حجم العينة
المعتقدات الشعبية	0.61**	%38	دال عند 0.01	115
الدوافع النفسية	0.58**	%34	دال عند 0.01	

يتضح من خلال الجدول المشار إليه أعلاه وجود علاقة ارتباطيه بين متغير المعتقدات الشعبية وزيارة الأضرحة بقيمة قدرها(0.61)عند مستوى الدلالة(0.01)، في حين قدر معامل التحديد والذي مثل ما نسبته (38%) من التباين، ووجود أيضا علاقة ارتباطيه بين متغير الدوافع النفسية وزيارة الأضرحة بقيمة قدرها(0.58)عند مستوى الدلالة(0.01)، في حين قدر معامل التحديد والذي مثل ما نسبته (34%) من التباين المفسر.

يتضح من خلال الجدول أن هناك ارتباط دال إحصائيا بين المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية و بين زيارة الأضرحة. إن أهم ما يستنتج من خلال هذه الدراسة حول المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية لدى زوار الضريح أن النتائج جاءت مرتبطة مع بعضها البعض أشد ارتباطا، إذ أن أكثر من (30%) من الزوار يعتقدون أن زيارة ضريح الولي "سيدي بوعبدالله" وممارسة طقوسه له أثر و منفعة كبيرة في قضاء حاجات الزائر وحل مشاكله وإيجاد الراحة والطمأنينة والتدعيم النفسي.

إن إقبال الأوساط الشعبية على زيارة الأولياء مرده الإعتقاد في ولايتهم وبركاتهم. والبركة هي قوة فوق طبيعية تصدر عن الأولياء الذين يمنحونها لمن شاءوا من زائريهم الذين يأتون لطلبها. فالبركة هي إذا السمة الأساسية للولي التي تُلزم الأوساط الشعبية في التوجه إليه متقدمة بالصلوات و النذور كي يطرح بركته عليهم، و هذه البركة يمكن البحث عنها من خلال الوقوف على ضريح الولي، أو النوم بالقرب منه، أو التسليم على ضريحه، أو الشرب من المياه الموجودة قربه، حيث يجب الولوج شخصيا في هذه البركة، وبالتالي تعتقد الأوساط الشعبية أن بركة الولي تكون أقوى وأنفع إذا طُلبت من مكان جد قريب من الضريح. و بالتالي يبدو أن زيارة الأولياء وممارسة الطقوس لتحقيق الأماني و الطلبات، ماهي إلا وظيفة تفريغية تمارسها هذه الطبقات للتخفيف من القلق و الشعور بالطمأنينة

و التوازن بين الأنا و العالم الخارجي والنظر إلى المستقبل نظرة تفاؤلية أمام واقع يتسم بالتعقيد.

و تتفق هذه الدراسة مع دراسة باحمد و بن عاشور (2018)التي توصلت إلى أن العديد من الأفراد يزورون هذه الأماكن الدينية للتبرك بها أملا أن يكون خيرا ينالونه من هذه الأماكن أو القائمون عليها. و تتفق أيضا مع دراسة سراج (2015)التي استخلصت أنه كلما كان الاعتقاد في شخصية الولي كلما كان توافد الزائرين إلى ضريحه أكثر. كما وجد أن ظاهرة زيارة الأضرحة تتخذ دوافع مختلفة. كما أن هناك أسباب اجتماعية و نفسية تفسر سبب زيارة ضريح سيدي يوسف. و تتفق الدراسة كذلك مع دراسة فراح (2011) التي توصلت إلى أن الاعتقاد في الولي و قوته يترك أثر كبير لدى النساء الزائرات للضريح. و جاءت دراسة بوخضرة (2012) موافقة لدراستنا. حيث توصلت هذه الدراسة في أن الولي يلعب دورا هاما في النظام العقائدي لكثير من الناس.

2.4. تحليل و تفسير نتائج التساؤل الثاني: والذي ينص: توجد فروق في المعتقدات الشعبية لدى زوار الضريح تبعا لمتغير الطبقات الاجتماعية. ولاختبار صحة هذا التساؤل قمنا باستخدام تحليل التباين الأحادي (one way anova) لدراسة الفروق تبعا لمتغير الطبقات الاجتماعية والذي احتوى على ثلاثة مستويات (ضعيف، متوسط ، جيد)، حيث أسفرت النتائج كما هو موضح في الجدول أسفله على مايلي:

جدول رقم (04) يوضح تحليل التباين الأحادي لدراسة الفروق في المعتقدات الشعبية تبعا لمستويات الطبقات الاجتماعية

المتغير	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع مربعات الانحراف	متوسط المربعات	قيمة(ف)	الدلالة
المعتقدت الشعبية	بين المجموعات	1	56,56	56,56	1,07	غير دال
	داخل المجموعات	113	5943,04	52,59		
	المجموع	114	5999,60			
زيارة الأضرحة	بين المجموعات	1	127,08	127,08	3,77	غير دال
	داخل المجموعات	113	3807,83	33,69		
	المجموع	114	3934,92			

نلاحظ من خلال الجدول عدم وجود فروق دالة بين الطبقات الاجتماعية في المعتقدات الشعبية وكذا في متغير زيارة الأضرحة. ومرد هذا في اعتقادنا راجع إلى أن واقع حياة الناس يبرز انتشار زيارة الأضرحة بشكل كبير وواسع بين جميع فئات المجتمع، ووجد أن معظم الفئات الاجتماعية التي تقوم بزيارة الضريح لها معتقدات في قدرة الضريح في حل مشاكلهم وقضاء حوائجهم، رغم أننا نعيش في مطلع الألفية الثالثة التي من أهم مميزاتها أنها قرن العلم والمعرفة والانتشار الواسع للتكنولوجيا والإعلام. وإذا كان هذا المخزون الإعتقادي يمثل السبب الداخلي، فإن هناك عوامل خارجية متعددة أسهمت في توطيد وتثبيت هذه الإعتقادات. ومن بينها أولئك الأشخاص الذين يدافعون عن قداسة الولي و فاعليته التأثيرية على مجرى الأحداث سلبا و إيجابا. يضاف إلى هذا العامل البشري، العامل التوثيقي، ويتمثل في تلك الكتب التي تزخر بسير الأولياء وتراجمهم، و التي تصور الولي متجاوزا طينته البشرية، متجليا برداء قدسي. كل هذا أسهم في رسم صورة متفردة للولي في عقول الناس، ولنا في كتابات أهل التصوف ومترجميهم أمثلة وشواهد تتضح بالترهيب والتخويف من التعرض من الأولياء و أضرحتهم.

ويمكننا أن نستنتج أن الظرف المعيشي والظرف المهني الذي يخضع له الأفراد ليس محدد رئيسي لهذه الممارسة. وليس عامل الفقر والحاجة والعوز هو الدافع الوحيد للإعتقاد والالتجاء إلى الولي "سيدي بوعبد الله". بل إن مفهوم الطبقة سيظل مفهوما شكليا مقارنة بدرجة الوعي لدى زوار الضريح.

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة سراج (2015) في أن زيارة ضريح سيدي يوسف لاتتأثر باختلاف المستويات الثقافية والاجتماعية بين الأفراد. كما وجد الباحث ان زوار ضريح سيدي يوسف من طبقات اجتماعية متباينة و مختلفة.

3.4. تحليل و تفسير نتائج التساؤل الثالث: والذي ينص: توجد فروق في الدوافع النفسية لدى زوار الضريح تبعا لمتغير الطبقات الاجتماعية. ولاختبار صحة هذا التساؤل قمنا باستخدام تحليل التباين الأحادي (one way anova) لدراسة الفروق تبعا للطبقات الاجتماعية والذي احتوى على ثلاثة مستويات (ضعيف، متوسط ، جيد)، حيث أسفرت النتائج كما هو موضح في الجدول أسفله على مايلي:

جدول رقم (05) يوضح تحليل التباين الأحادي لدراسة الفروق في الدوافع النفسية تبعا لمستويات الطبقات الاجتماعية

المتغير	مصدر التباين	درجات الحرية	مجموع مربعات الانحراف	متوسط المربعات	قيمة(ف)	الدلالة
الدوافع النفسية	بين المجموعات	1	576,52	288,26	3,22	دال
	داخل المجموعات	113	5992,18	89,43		
	المجموع	114	6568,70			
زيارة الأضرحة	بين المجموعات	1	127,08	127,08	3,77	غير دال
	داخل المجموعات	113	3807,83	33,69		
	المجموع	114	3934,92			

يتضح من خلال جدول مصدر التباين بين المجموعات بأنه توجد فروق بين الطبقات الاجتماعية في متغير الدوافع النفسية بقيمة (ف) قدرها (3.22)، وعند مستوى الدلالة (0.04)، وعدم وجود فروق في متغير زيارة الأضرحة، وبغية التأكد من صحة الفروق ولصالح أي طبقة اجتماعية استخدمنا اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية، فدلت النتائج على مايلي:

جدول رقم (06) يوضح نتائج اختبار (scheffe) بالنسبة لمتغير الدوافع النفسية تبعا للطبقات الاجتماعية

الطبقات الاجتماعية	ضعيف م=12.06	متوسط م=11.06	جيد م=10.75
ضعيف ن=35		6.75* دال عند 0.04	--
متوسط ن=48		--	
جيد ن=32	--		

نلاحظ من خلال الجدول وجود فروق دالة بين المستوى الضعيف والمستوى المتوسط في الدوافع النفسية بقيمة قدرها(6.75)عند مستوى الدلالة(0.04)، و لصالح الطبقة الدنيا (ضعيف) بمتوسط قدره (12.06) .

و هذا يدل على أن الطبقة الدنيا (ضعيف) لها دوافع أكبر من الطبقة المتوسطة خاصة و الطبقة الجيدة عامة في زيارة الضريح. ومرد هذا في اعتقادنا راجع حسبما تشير إليه الدراسات بأن الطبقة الدنيا متمسكة كثيرا بالثقافة التقليدية، و تنزع كثيرا نحو

الممارسات الطقوسية للتقرب من المقدس الذي تدافع عنه باستعمال كل الأساليب الضرورية في مواجهة المدنية الحديثة أو الثقافة الحديثة التي تعتمد على مفاهيم العقلانية. إن هذه الطبقة ترفض التغيير لأنه يهدد هويتها المشتركة و بالتالي تتصدى له بالإنخراط في الطقوس التي ترمز إلى المرجعية التقليدية لديها، حيث تعتبر بالنسبة إليها جزءا من التراث الثقافي الذي يجب الحفاظ عليه، إن هذه الطبقة البسيطة تعتمد على التقاليد المرجعية التي تشكل أفعالها و تحدد سلوكها و تضمن تواصلها و استمرارها. و إذا كانت الحاجة إلى خلق المقدس و الحفاظ عليه عند هذه الطبقة يكمن في ضمان إستمرارها و حمايتها من الضياع، و القضاء على حالات الحرمان القاسية، فمعنى ذلك أنها تصبح أكثر ارتباطا بالماضي وكراهية للتغيير. إن هذه الطبقة غالبا ما تتركز في الريف و أحياء المدن الفقيرة، إذ لا تكتفي هذه بالتعاليم المجردة بل تحتاج إلى وسيط يتجسد في شخص صالح يتحسس مآسيها و يساعدها على حل مشاكلها و ينصرها ضد ظالميها و يتكلم لغتها. و تتفق هذه الدراسة مع دراسة سراج (2015)في أن زيارة ضريح سيدي يوسف لاتتأثر باختلاف المستويات الثقافية و الاجتماعية بين الأفراد. كما وجد الباحث ان زوار ضريح سيدي يوسف من طبقات اجتماعية متباينة و مختلفة، و يمكن إرجاع سبب الزيارة إلى الظروف الاجتماعية و الحاجات السيكولوجية و النفسية لهذه الفئات الاجتماعية، كلٌ حسب حاجته وغايته.

5. خاتمة:

لقد مكنتنا هذه الدراسة حول المعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية لدى زوار الضريح من تحقيق نتيجة مفادها أن الضريح و الولي هما بنية واحدة لا تتجزأ إلا على مستوى الدراسة المنهجية، فهيكل الضريح يحيل دائما إلى محتواه الداخلي : المضروح/الولي . كما أثبتت التجربة الميدانية أيضا أن الولي و الضريح هو بنية حية ذات فاعلية اعتقادية و نفسية كبرى، و لايمكن النظر إليه على أنه نصب أثري و حسب، فللظاهرة موضوع الدراسة إرتباط وثيق بالمعتقدات الشعبية و الدوافع النفسية لدى زوار الضريح و مهما كان مستواهم المعيشي و المهني أو الاجتماعي.

فمازال التواصل مع المعتقدات مستمرا في مجتمعنا، فلم يحيد ولم تقصى العادات والطقوس والإعتقادات الإحيائية، مما يدل على أن هذا المكبوت الأوليائي مازال متجذرا في

اللاوعي الجمعي، و يتمظهر في أشكال مختلفة من خلال الزيارات بطقوسها وتعاويذها وإقامة المراسيم والحفلات الموسمية تخليدا لذكرى الولي.

فهذه المعتقدات التي تدفع بالناس إلى التقرب من الولي عن طريق الزيارة لها خلفيات نفسية، يلتجئ من خلالها المعتقد إلى الضريح لتلطيف توتره النفسي من جراء القلق والإحباط، ولعل ما يزيد الفرد تعلقا بضريح الولي، هو الوفاء لمرجعية المجتمع الثقافية الشعبية، فزيارة الضريح من هذا المنطلق تعتبر سنة من سنن الأسلاف، لايجب التفريط فيها .

و في ضوء نتائج الدراسة الحالية يوصي الباحث بمايلي :

- إعادة النظر في الممارسات الشعبية و حمايتها من الاستغلال التجاري وإنشاء مقررا دراسيا في الجامعة لفهم هذه الظاهرة من منظور علمي .

- ينبغي عدم التصادم بين الممارسة النفسية الحديثة مع القيم و المعتقدات الراسخة بل يجب أخذها بعين الاعتبار عند التخطيط للخدمات النفسية الحديثة.

- لا ينبغي الاقبال على النماذج الغربية دون مناقشة في فهم معظم الظواهر والممارسات الشعبية التي تمتاز بطابع القداسة وتستند إلى معتقدات راسخة ودوافع لاشعورية متجذرة في المخيال الشعبي، واهمال الخلفية الثقافية لكل مجتمع، على اعتبار أنها تشكل تعبير له دلالته في فهم شخصية الفرد و سلوكه الاجتماعي.

- عقد مؤتمرات حول أساليب الممارسات الشعبية التي تخضع لمختلف المعتقدات والدوافع المختلفة ومحاولة تقنينها بشكل علمي يسمح بالاستفادة منها وإدماجها بشكل علمي في المقررات الأكاديمية .

- ضرورة خلق خلايا تحسيسية و جهودا إعلامية و برامج مدروسة للتوعية، يتم توجيهها إلى مختلف شرائح المجتمع للتوعية بأهمية الصحة النفسية ومدى علاقتها بالدين وبعالم المقدسات.

- ينبغي تشجيع الدراسات النفسية المتعلقة بقضايا الممارسات الدينية الشعبية وما تعلق منها بالعلاج النفسي التقليدي في بلادنا بغرض الإقتراب أكثر من فهم الظواهر الثقافية المتجذرة في مجتمعنا .

6. قائمة المراجع:

1. أبو الفضل جمال الدين، ابن منظور ، (1994)، لسان العرب، لبنان، دار صادر.
2. محمد، الجوهري،(1990)، علم الفلكلور(دراسة المعتقدات الشعبية)، مصر، دار المعرفة الجامعية.
3. علي، زيعور، (1979)،العقلية الصوفية و نفسانية التصوف – نحو الإتزانية إزاء الباطنية و الأوليائية في الذات العربية، لبنان،دار الطليعة.
4. حسن، الخولي، (1982)،الريف والمدينة في مجتمعات العالم الثالث، دار المعرفة الجامعية، مصر،
5.طوالبي، نور الدين،(1988)، الدين والطقوس والتغيرات، (ترجمة: وجيه البعيني)، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
6. محمد توفيق ، السهلي و حسن، الباشر ،المعتقدات الشعبية في التراث العربي، سوريا، دار الجليل.
7.سالم نبيلة، ابراهيم، (1976)،البطولة في القصص الشعبي، مصر، دار المعارف .
8.التيجاني، القماطي و مجموعة من المؤلفين،(1994)، الإنسان و المقدس، تونس،دار محمد علي الحامي للنشر و التوزيع.
9. فاروق، مداس(2003)، قاموس مصطلحات علم الاجتماع، الجزائر، دار مدني .
10. أسامة، باحمد و زهرة، بن عاشور ،(2018)،قراءة تحليلية سوسيولوجية لظاهرة زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين في الجزائر، مجلة آفاق لعلم الاجتماع، مجلد:08، عدد:01، ص190-204.
13. الجيلالي، سراج،(2015)، ظاهرة زيارة الأضرحة و أثرها في المعتقدات الشعبية، رسالة ماجستير في الانثربولوجيا الثقافية و الاجتماعية، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية،قسم الانثربولوجيا، جامعة تلمسان، الجزائر.
14. زينب، فرح ،(2011)،الزيارة النسوية للأضرحة، رسالة ماجستير في علم اجتماع الأديان و الممارسات الدينية، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية،قسم علم الاجتماع، جامعة وهران، الجزائر.
15. بوخضرة، بن معمر ،(2012)، الولي في المخيال الشعبي، رسالة دكتوراه في الأنثربولوجيا، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، قسم الانثربولوجيا، جامعة تلمسان، الجزائر.
16.Moussaoui ,abderahmane,(1996), logique du sacré et mode d'organization de l'éspace dans le sud ouest algérien , thése de doctorat , sous la direction du professeur bernarde le petit , école des hautes sciences sociales.
17. ali, Aouittah,(1993), ethnopsychiatrie maghrébine, represention et therapies traditionnelles de la maladie mentale, ed l'harmattan, paris.